المصدر: صباح الخير
التاريخ : ١٩٩٩/٨/١٢

السادات لبهاء:

عبدالناصر وأنا آخر الفراعنة!

الكل احتار فى فهم شخصية أنور السادات بدون استثناء!! الذين عرفوه عن قرب والذين عملوا معه، والذين درسوا سيرته الذاتية وحياته بعد ذلك!! اليمين واليسار وجدوا فى شخصيته وزعامته مايستحق الدراسة والدهشة. وهذه رؤية اليسار واليمين للسادات الإنسان والسياسى والرئيس.

بعض الذين عرفوا «السادات» عن قرب وتعاملوا معه بشكل متصل ومستمر أكدوا أنه لايحب القراءة ولا يطيقها!!

أما البعض الآخر فيؤكد ان السادات كان يحب ويعشق القراءة وإن كان يحب ان يتظاهر بغير ذلك!!

إن الشيخ «أحمد حسن الباقورى» الذى شغل لفترة منصب وزير الاوقاف زار دمشق اثناء الوحدة المصرية السورية فبراير ١٩٥٨ يقول فى مذكراته:

بقينا فى قصر الضيافة . بدمشق . وكان نصيبى سريرا فى حجرة مع انور السادات الذى كان مغرما بكتابات «جبران خليل جبران» فيقرا له تحت ضوء شديد لا ياذن لى بنوم مريح.

اما د. بطرس غالى فتعود معرفته بالسادات إلى بداية الثورة «عندما كان واحدا من اعضاء المجموعة الداخلية لمجلس الثورة تم يقول د.بطرس غالى: «جمعتنا المنصة معا فى برنامج للاحتفال بيوم الأمم المتحدة فى اكتوبر ١٩٥٤، قال لى السادات:

. انا لا إعرف شيئا عن الامم المتحدة!!

وقرا السادات . الاسئلة التى كان متوقعا منا ان نناقشها والقى بها جانبا وهو يقول انه لن يجلس للامتحان كتلاميذ المدارس، لكن عندما بدا البرنامج أجاب السادات عن الأسئلة باطلاع واسع وبعمق.

وحسب شهادة بطرس غالى فى مذكراته وبعد العمل معه . فإن السادات كان شديد الذكاء ولكنه غالبا يريد ان ينفى دهاءه وحدة ذهنه كان يقرا كثيرا على الرغم من شهرته بانه لايجد ابدا وقتا للقراءة، وكنت على امتداد السنوات قد نشرت فى الصحف اليومية والمجلات المتخصصة كثيرا من المقالات عن القضايا الكبرى فى السياسة الخارجية المصرية، ولم يكن لى غير اتصال محدود بالرئيس السادات، ولكنى كنت أعرف انه قد قرا مقالاتى.

لكن قراءة مقالة ادبية او حتى سياسية شىء وقراءة التقارير اليومية التى تمتلىء بالارقام والإحصائيات شىء مختلف تماما!!

وحسب شهادة « احمد بهاء الدين» مفكرنا الكبير قوله « كان من خصائص الرئيس السادات التبسيط الشديد للمسائل الاقتصادية التى كان لا يفهم فيها كثيرا ويضيق صدره بالبحث فى تفاصيلها، وكان يفاجئك فى هذا المجال بمقارنات غاية فى الطرافة والتبسيط والبعد عن الحقائق المعقدة!!

وهناك عشرات الامثلة والحكايات والوقائع التى يرويها «أحمد بهاء الدين» تدليلا على ما يقول، واتوقف امام واقعة بالغة الدلالة، ومؤداها ان السادات طلب من بهاء ان يكتب له خطابه الذى سوف يلقيه بمناسبة افتتاح البرلمان بعد تجربة المنابر وانه سيصدر قراره بان تتحول المنابر إلى احزاب واعترض بهاء وطالت المناقشة بين السادات وبينه واخيرا قال «بهاء» له :

. سوف افترض اننى على خطا وان الدستور يسمح بقيام احزاب فاين ياريس النص فى هذا الدستور على تحديد عدد الاحزاب بثلاثة فقط؟ واين النص الذى يسمح لى بتكوين حزب رابع او يمنعنى من ذلك؟! إننى متمسك ياريس بانه لابد من تعديل دستورى ينص على كل ذلك او بتعديل اسرع وابسط ينص فقط على حق تكوين الاحزاب، وقانون ينظم القواعد الخاصة بذلك!!

وانهى الرئيس السادات الحوار الطويل . كما يقول بهاء . بعد منتصف الليل بان قال لى: ياأحمد لازم تكون عرفت طريقتى!! طريقتى ان اعلن قرارى وبعد كده نشوف، إذا كان عايز تعديل نعمل تعديل، وإذا كان عايز قانون نعمل قانون، لانى لوقعدت ادرس فى كل قرار علشان يطلع ما يخرش الميه، يبقى عمرى ما حاطلع قرارات!!

وقال السادات لبهاء: كفاية اعلن فى الخطاب قيام الاحزاب وبعد كده نشوف إيه اللى يحتاجه الموقف.

ولم يقتنع السادات بمنطق بهاء عندما قال:

. إن خطابا للرئيس ولو تحت قبة البرلمان لايقيم حقاً دستورياً غير موجود وان «ممدوح سالم» رئيس الوزراء ورئيس منبر مصر لو اعلن تحويله إلى حزب مصر فإن من حق اى مواطن ان يقوده إلى النيابة العامة، وان «ممدوح سالم» لايستطيع ان يدافع عن نفسه وحزبه مستنداً إلى خطاب القاه رئيس الدولة حتى ولو القاه تحت قبة البرلمان وصفق له النواب حتى الصباح!!

وفى مناقشة اخرى حول الدستور قال السادات له:

- ياأحمد.. عبدالناصر وانا اخر الفراعنة، هوه عبدالناصر كان محتاج لنصوص علشان يحكم بيها، والا انا محتاج لنصوص؟!».

●

فى عام ١٩٤٣ وفى معتقل الزيتون شاهد «موسى صبرى» للمرة الاولى المعتقل السياسى أنور السادات واشتركا معاً فى محاولة للهروب.. و.. لقد كان «موسى صبرى» عبر سنوات طويلة قريباً من السادات فى كل حالاته فكيف رأه؟!

يقول «موسى صبرى»: كان السادات يحب التعبيرات الريفية الشعبية، فبدلا من أن يصف شخصاً بالغباء يقول عنه انه «جحش»، وبدلا من ان يصف شخصاً بالرعونة يقول عنه «انه يطجن.. ده تور مالوش وتد» وكان يصف المرأة التى تهوى الشقاق والنكد بانها.. «حيزبونة».. ومرة شكوت له من مظاهر الفساد وان أحد الوزراء حصل على كابينتين فى المعمورة وكابينة ثالثة فى المنتزه فكان تعليقه «نتانة تعمل إيه فى البشر» وكان يصف احد السياسيين الذين لا طعم لهم ولا رائحة ويدعون العلم بما لا يفقهون.. كان يصفه بانه «زى تور الله فى برسيم».

وكان السادات يستخدم هذه التعبيرات وهو معتدل المزاج، ولكن كانت لنسادات غضباته المفزعة داخل منزله، وفى الاجتماعات السياسية الضيقة.. وهو إذا غضب فإن صوته الجهورى يعلو ويطلق اتهاماته الهادرة.

ويضيف «موسى صبرى»: كان السادات شخصية بالغة التعقيد ليس من السهل فهمها فى حين يبدو «مظهره» الخارجى فى منتهى البساطة بل الطيبة التي تصورها البعض سذاجة، وكثيرا ما احتار المقربون إلى السادات فى استنتاج قراراته أو فهمها، وفى بعض الأحيان كان السادات يترك المتحدث إليه ساعة أو ساعتين دون أن يعلق هو بكلمة واحدة، ولايفهم المتحدث أبداً أثر كلماته على السادات!

وكان يحب مجالسة نفسه كثيراً، وكانت تمر عليه ساعات طويلة فى بعض الأحيان وبلا لقاء مع أحد وهو جالس وحده فى حديقة الاستراحة يفكر وكان يفضل الإقامة معظم الوقت فى استراحة

القناطر لأن حولها فضاء كبيراً من الزرع، وهو يحب الهواء الطلق، وقد وضع كنبة فى حجرة نومه بالقناطر التى كان يقضى بها معظم أيامه تشبه المصطبة فى القرية.

ويضيف موسى صبرى: قال لى فوزى عبدالحافظ «كان الرئيس يصل إلى ميت أبو الكوم متعباً ومرهقاً وآثار ذلك بادية عليه، وبمجرد أن ينام ليلته الأولى، يصحو نشطاً فتياً وكان عمره نقص عشر سنوات، وكثيراً ما كان يطوف الحقول فى المساء وهو يرتدى الجلباب القروى فى الليالى المقمرة ثم يجلس متربعاً تحت شجرة أمام الترعة ويمضى متاملا منتعشاً بالساعات حتى يحين موعد نومه».

وكان السادات حريصاً فى طعامه حرصاً بالغاً خاصة بعد أن أصيب بالذبحة الصدرية مرتين وعرف كل شىء عن أمراض القلب وكان يتحدث عن أنواع هذا المرض بإفاضة العارف. ولذلك فإن وجبته الوحيدة لم تخرج عن اللحم أو الطير المسلوق أو المشوى مع قليل من الفاكهة، وكانت أكلة الفول والطعمية رغم ضررها على صحته من أشهى الأكلات لديه، ولذلك كان يتناولها بين الحين والحين مع المهضمات!

وكان البطيخ ضارا بصحته ويسبب له الإسهال فامتنع عن تناوله تماما وعاش حياته منذ أول نزلة معوية من البطيخ منذ أكثر من عشرين عاماً دون أن يأكل منه قطعة واحدة، وكان يصاب بارتفاع الحرارة المفاجىء بعد الإرهاق!!

أما عن هوايته الاولى فهى عنايته الكاملة بملابسه منذ فجر شبابه فى المعتقل عام ١٩٤٣ وكان مفصولا من الجيش وهو برتبة اليوزباشى، لم يكن يملك فى المعتقل إلا قميصين وبنطلونين كاكى (من ملابس الجيش) وكان يقوم بغسلهما وكيهما، وكان يضع البنطلون تحت مرتبة السرير حتى يحتفظ برونقه.. وعندما كان يرتدى القميص والبنطلون مع الصندل كان فى قمة الأناقة وكنت تتصوره كأنه من أبناء الأرستقراطيين، وظهر ذلك أيضا عند محاكمته فى قضية امين عثمان، لم يكن يملك إلا بدلة واحدة، وكانت الموضة حينئذ هى القميص الأبيض المنشى فى ياقته العريضة، وكان يظهر فى قفص الاتهام وكأنه نجم سينمائى بسبب العناية الدقيقة بملابسه!!

وليس صحيحا على الإطلاق انه كان يفصل

«بدله» فى روما أو باريس أو لندن لدى أشهر الحائكين، كان «سويلم» الترزى المصرى هو الذى يفصل له ملابسه، وكان السادات يعتنى بالبروفة ويبدى ملاحظات لا نهاية لها، وكان يستدعى السيدة «جيهان» لترى البروفة ولكنه لاياخذ بملاحظاتها!! وحدث مرة واحدة أن اشترت له السيدة جيهان بدلتين جاهزتين من لندن ولم يعجبه التفصيل ولا الألوان.

●

الكاتب الكبير «لطفى الخولى» أيضا أحد الذين اقتربوا من الرئيس السادات، وهو أيضا أول من كتب دراسة مهمة أطلق عليها اسم «مدرسة السادات السياسية واليسار المصرى» عام ١٩٧٥.

هذه الدراسة - وحسب ما يقول لطفى الخولى - أثارت عليه عاصفتين عنيفتين، الأولى من مواقع السلطة فى النظام الساداتى تصف الحلقة الأولى بانها «عمل عدائى موجه للنظام عامة والرئيس السادات شخصيا، مصاغ فى أسلوب يتخذ قالب البحث العلمى الموضوعى المحايد من كاتب معروف باتجاهاته الايديولوجية التى تتنافى مع ايديولوجية ثورة مايو ودولة العلم والإيمان».

أما العاصفة الثانية فقد صدرت عن بعض عناصر يسارية فى مصر والعالم العربى اتهمت لطفى الخولى بانه «يجمل» و«يبيض» وجه السادات، ويؤصل أفكار السادات وسياساته من كاتب محسوب على اليسار.

ومالم يكن معروفاً فى تلك الأيام أن دراسة السادات وأسلوبه السياسى - كما يقول لطفى الخولى بعد ذلك - «الفكرة نبتت أوائل عام ١٩٧٤ بناء على طلب مفاجىء من السادات وكان ذلك فى بيته بالجيزة على ضفاف النيل».

فى هذا اللقاء حرص الرئيس السادات على أن يبدو فى صورة القائد العسكرى والسياسى الذى فاجا الجميع - على حد تعبيره - بالحرب والنصر وفتح الطريق إلى السلام فى منطقة كالجحيم بصراعاتها وازماتها المعقدة والتى لايقدر على إطفاء نيرانها إلا بشر تمتزج فى عروقهم حكمة غاندى ودهاء معاوية وعبقرية روميل وذكاء تشرشل»!!

ويضيف الخولى معلقاً: «كان واضحا - انه - السادات - يعنى نفسه أول ما يعنى بهذه الكلمات

وهو يستقبلنى بزيه العسكرى الخاص الذى وضع بنفسه تصميمه كما أخبرنى مزهواً ببدلته وانتصاره معا!! .

بعد ذلك دار الحديث بين السادات والخولى حول دور «هنرى كيسنجر» وزير خارجية أمريكا وقال عنه السادات للخولى: «هنرى.. هنرى كيسنجر يشاركنى ذات الصفات، ولهذا فإن تفكيره مثل تفكيرى، استراتيجى لايغرق فى التفصيلات الهامشية التافهة.. بعد ربع ساعة فقط من أول لقاء معه اكتشف هذه الحقيقة واعترف لى بها علانية ولهذا بدانا نتفاهم فى العمق».

وعندما قال الخولى: إن كيسنجر لايرى ولاينفذ إلا استراتيجية أمريكا التى ترى أن إسرائيل حليف والعرب أعداء، وهنا - وكما يقول الخولى - أوقفنى السادات عن الاسترسال فى الحديث بحركة من يده وقال بحدة:

- اصحوا وافهموا ياجماعة يابتوع الكلام الكبير المجعلص إياه، قبل حرب أكتوبر حاجة وبعد حرب أكتوبر حاجة تانية فى كل شىء، عندنا، عند العرب، عند السوفييت وكذلك عند أمريكا، لاتنسى أبداً أننا انتصرنا لأول مرة على إسرائيل، زلزلناها، ده كلامهم مش كلامى، رغم إنكم بتتفلسفوا وتقولوا إنه نصر تكتيكى وإنها حرب للتحريك لا للتحرير إلي آخر هذا الكلام الفارغ، المهم فى كل هذه العملية هو أمريكا.. أمريكا هى شريان الحياة لإسرائيل. و.. و..

ثم جاءت مقابلة أخرى تمت فى صيف ١٩٧٤ ببرج العرب وفيها قال السادات:

«أنا حاربت إسرائيل ومفروض ورائى الاتحاد

السوفيتى، وحاربتنى إسرائيل ووراها امريكا، وعندما كدت اكسر رقبة إسرائيل وجيشها الذى لايقهر طلعت لى أمريكا بدباباتها وطياراتها وصواريخها من تحت الأرض فى مواجهتى، التفت ورائى مالقيتش الاتحاد السوفيتى، فص ملح وداب، هرب، وبعت يقول لى: وقف الحرب وخلينى أتكلم مع الأمريكان علشان أصلحك على إسرائيل، سبحان الله. إسرائيل عند الزنقة لقيت أمريكا واقفة معاها زى السبع تزغطها طيارات ودبابات عبر جسر جوى مهول، وبصيت لقيت نفسى فجاة وحدى أحارب امريكا مش إسرائيل، انادى ياموسكو.. ياكرملين مفيش خبر، ودن من طين وودن من عجين!!».

وراح السادات يقول للطفى الخولى: «انتم ياأولاد يااشتراكيين مش كنتم بتنادوا فى أول الصدام خالص فى ١٩٤٨ باقتسام فلسطين بين العرب وبين اليهود والسلام مع إسرائيل لأن الاستعمار والإمبريالية اللى مش عارف إيه من كلامكم اللى يكعبل ده.. همه اللى بيستفيدوا من الحرب بين العرب واليهود!! والله زمان كنتم عاقلين وبتفهموا!!».

ويختتم لطفى الخولى الصورة التى يرسمها للسادات عن قرب شديد فيقول:

فى اللقاء الاخير الذى اتيح لى مع السادات كانت حلقات القسم الأول من الدراسة «مدرسة السادات السياسية» قد نشرت وردود فعلها متاججة وتم اللقاء فى يناير ١٩٧٦، وحين هممت بالدخول عليه اشار إلى كومة من الأوراق ومعها صفحات من حلقات الدراسة المنشورة وقد خطط باللون الأحمر تحت عدد من فقراتها وقال: «هذه هى التقارير المقدمة عن مقالاتك من المكتب الصحفى برئاسة الجمهورية والمباحث العامة والأمن القومى وأمانة الاتحاد الاشتراكى، لو اخذت بما فيها لأمرت فوراً بقطع راسك»..

وتوقف - السادات - عند عبارة وصفته فيها بانه «برجوازى ريفى صغير» وقال: طبعا استغليت جهل الأفندية بتوعى اللى مسلمهم الصحافة وكتبت هذه العبارة، ولم يعرفوا طبعا كما أعرف انا، أن هذا سب وقذف فى حقى باسلوب الاشتراكيين!!

وفشل (لطفى الخولى) فى إقناع السادات بأن هذا تعبير علمى بات شائع الاستخدام، لافرق فى ذلك بين كتاب اشتراكيين أو غير اشتراكيين وانه لايحمل اى معنى من معانى السب والقذف.

وأكد السادات له انه لن يعاقبه على تلك العملة كما كان يفعل عبدالناصر عندما انتقد «الخولى» انتهاك أجهزة الأمن لحريات وحقوق المواطنين فقام بإيداعه السجن، وإنما اكتفى السادات - كما يقول لطفى الخولى - بأن أصدر أمره بوقف نشر حلقات القسم الثانى من الدراسة والمتعلقة باليسار المصرى بعد أن كان قد تم نشر حلقة واحدة مبتورة!!

واختتم الشهادات اليسارية عن السادات برؤية خالد محيى الدين، وكما جاءت فى مذكراته «.. والآن أتكلم» حيث يقول عن السادات.

ولابد أن أقرر ابتداء أنه كان أكثرنا خبرة بالعمل السياسى، فهو اقدمنا جميعا فى هذا المجال، وكان يمتلك خبرة سياسية واسعة، ويعرف كيف يكون لنفسه وضعا خاصا وعلاقات خاصة، فعندما أعد البيان الأول للثورة، وفشل أحد الضباط فى تلاوته فى الإذاعة، تقدم السادات فى اللحظة المناسبة ليقوم هو بتلاوته، ليكتسب بذلك مزية أنه هو الذى أعلن قيام الثورة. وبعد فترة وجيزة اكتشف السادات أن عبدالناصر، هو مركز الثقل الحقيقى فى مجلس الثورة فالقى بكامل ثقله فى اتجاه عبدالناصر، ووقف معه دائما، ولم يختلف معه أبدا، ولم يتصادم أبدا مع أى مركز للقوة، فما أن أحس أن عامر قد أصبح ذا نفوذ حتى هادنه هو الآخر. وهو شخص يمتلك مقدرة هامة، وهى التوجه للجماهير، وفهم نوازعها ومخاطبتها بما تريد.. وكان فى كل تعاملاته حريصا على مخاطبة الناس او حتى مواجهتهم على أساس إدراكه لحقيقة نوازعهم الشخصية، ولهذا صمد طويلاً مع عبدالناصر، وبقى حتى صار خليفته رغم انه لم يكن أبدا لا الأقرب، ولا الأهم.

●●

ولعل ذلك أحد اكبر الألغاز المهمة ليس بالنسبة للسادات فقط ولكن لجمال عبدالناصر أيضا!!

رشـــاد كامـــل